ندوة «عكاظ» بالقاهرة التقاء

المملكة قدمت نموذجا يحتذى به

أدار الندوة: فتحي عطوة القاهرة

في صيف عام ١٩٩٣خرج علينا صمويل هنتنجتون،الأستاذ السابق بجامعة هارفارد ومدير معهد الدراسات بها بمقالة له في الفصلية الأمريكية الشهيرة (فورين أفيرز) بعنوان صدام الحضارات.في هذه المقالة قسم هنتنجتون العالم الى ثماني حضارات هي الغربية، والأرثوذكسية (روسيا)، والصينية، واليابانية، والهندوسية، والأفريقية، واللاتينو أمريكية، بالإضافة الى الحضارة الإسلامية.

وقال هنتنجتون: إن هذه الحضارات يمكن أن تتصارع ليس لأسباب سياسية واقتصادية وحسب بل لأسباب ثقافية أيضا، لكنه لم يرشح أية حضارة للصدام مع الغرب إلا الحضارة الإسلامية. وقد تلقف الإعلام الغربي هذه المقولة لوضع الحضارة العربية بمثابة العدو للغرب بعد انهيار الشيوعية، لتأتي أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، في واشنطن ونيويورك وتعطي المؤشر للإعلام الغربي بأن الصدام قد بدأ بالفعل، لتنهال الاتهامات على الإسلام والمسلمين تارة بوصمهم بالعنف وتارة بالتخلف وعدم التحضر والعداء لمفهوم الحضارة الغربية.

وأمام هذه الهجمة خرجت دعوات لترد على هنتنجتون، وتؤكد ضرورة الحوار بدلا من الصدام، حيث عقدت مؤتمرات عديدة في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي، وكانت المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين من الدول السباقة في هذا الشأن من خلال المشاركة وعقد المؤتمرات من أجل تكريس حوار الثقافات والحضارات والأديان، حيث عقد مؤتمر الرياض لمكافحة الإرهاب في فبراير عام ٢٠٠٥، ومؤتمر مكة الذي عقدته رابطة العالم الاسلامي في يناير ٢٠٠٥ ويونيو ٢٠٠٨. وأخيرا جاءت دعوة خادم الحرمين الشريفين لعقد مؤتمر مدريد للحوار في ١٣ رجب الماضي.

في هذه الندوة، نحاول تسليط الضوء على دور المملكة في دعم السلام العالمي من خلال الحوار بين الحضارات والثقافات، وأهمية هذا الحوار ونتائجه.

أهمية الحوار بين الثقافات

عكاظ: ما أهمية الحوار بين الثقافات والحضارات في هذه المرحلة من تطور النظام الدولي؟

د. جعفر عبد السلام: تعتبر مقالة هنتنجتون هي التاريخ الأحدث لفكرة صراع الحضارات، لكن الفكرة قديمة تناولها الكاتب برنارد لويس في عديد من كتاباته، وأصل لها هنتنجتون وفوكوياما، حتى ان هنتنجتون افترض ان الحدود بين الحضارة الإسلامية والغرب حدود دموية، وتبارت الأقلام الغربية للحديث عن نظرية صدام الحضارات، ومع تكاثر الحديث عن الصدام، نشأت الدعوة للحوار من قبل العقلاء في العالم الإسلامي على اعتبار أن الاسلام يرفض الصدام ويدعو للحوار، ولقيت الدعوات الإسلامية صدى في المجتمع العالمي، وكان نتيجة ذلك أن اعتبرت الأمم المتحدة عام ٢٠٠١ لحوار الحضارات، ونشأت لجان في الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الاسلامي للحوار تتسم بالروح السمحة للحضارة الإسلامية.

وفي الحقيقة أن فكرة الحوار ليست جديدة وهي تعود لعام ١٩٠٥، بين الكنيسة والجامع الأزهر وتشكلت لجان عديدة للحوار. وهنا يجب أن أشير إلى أن الحوار ليس على المستوى الرسمي فقط، إنما على على مستوى مؤسسات وجماعات ومنظمات مجتمعية.

١٦٠ آية قرآنية تدعو للحوار

وإذا انتقلنا إلى الإجابة عن السؤال المتعلق بأهمية الحوار أقول إن الحوار لغة يعني نبذ العنف، وليس من سبيل لمواجهة الصراعات التي تواجه عالمنا الإسلامي، إلا بالحوار المستنير الذي ينفذ إلى حقائق المشكلات ويسبر أغوارها ويضع حلولا، ويطرح قناعات، وينفي الشبهات ويدحض الأباطيل، ونحن حينما ندعو للحوار فإننا نطبق ديننا الحنيف، فالإسلام يدعو للحوار، ويدعو للتعاون على البر والتقوى، وحين نبدأ حديثنا بقولنا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..ألا نجد في هذه التحية الإسلامية فتحا للحوار مع الآخر، أليس في ذلك بادئ ذي بدء دعوة إسلامية صريحة للحوار والحض عليه؟ والعبادات كلها حوار بين الإنسان وربه. والدعوة إلى الحوار تعتبر مدخلا للحوار الواجب بين سائر البشر، لأننا نجد في الآية الكريمة: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)، تعظيما لأهمية التواصل والتعارف والتقارب، وهذا كله لا يتأتى إلا من خلال حوار متبادل، وتعارف يتحقق عن هذا الحوار، في أحد المؤتمرات قدم باحث سعودي دراسة عن الحوار ووجد أن هناك ١٦٠ آية في القرآن الكريم تدعو للحوار.

وأحب أن أضيف أنه في ختام أعمال مؤتمر الحوار الإسلامي الذي حضرته شخصيات من مختلف المذاهب والبلدان في مكة المكرمة يونيو الماضي، كان من أبرز توصياته إنشاء مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي للتواصل بين الحضارات لإشاعة ثقافة الحوار إلى جانب جائزة الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للحوار الحضاري. عموما إذا أردت أن ألخص ما قلته فيمكن القول إن الحوار ضروري لفهم الآخر وفهم الدين، كما أن الحوار مبدأ من مبادئ الإسلام.

المشاركون في الندوة

حوار أتباع الأديان

المستشار عبد العاطي الشافعي: أود أن أضيف على ما ذكره الدكتور جعفر من أن الحوار ضروري، بل نحن مطالبون بالحوار فالحق تبارك وتعالى حاور ابليس اللعين، كما حاور الملائكة. وأريد هنا أن أشير إلى أن هناك خطأ شائعا هو مقولة حوار الأديان والصحيح هو حوار أتباع الأديان وهذا ما لفت إليه خادم الحرمين الشريفين في كلمته في مؤتمر مدريد للحوار، وهذا يدل على فهمه العميق لمضمون الحوار وأهدافه، بل لن أبالغ إذا قلت إن خادم الحرمين الشريفين هو رائد الحوار في هذا العصر.

عودة إلى أهمية الحوار يمكن القول إن الحوار يظهر سماحة الإسلام وإنسانيته، الذي يقدم السلام دائما، وهذا المعنى لمسه خادم الحرمين الشريفين في خطبه العديدة ودعا منذ عام ٢٠٠٣ لمفهوم إسلام السلام، والحوار وفق هذا المعنى يقود للسلام، بل إن الإسلام هو فعل السلام وهو ما نحتاجه بشدة في الوقت الحالي وسط عصر متلاطم الأمواج.

الاسلام أرسى فكرة التعايش

د. محمد مورو: إذا رجعنا لفكرة الحوار سنجد أن الإسلام حكم مدني، والإسلام هو الذي حقق العلاقة بين أتباع الديانات المختلفة، وأعطى الجميع حقوقه انطلاقا من مبدأ المساواة والعدل، ولننظر وثيقة المدينة الذي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم بمجرد أن استقر بالمدينة المنورة، وأقام فيها المجتمع الإسلامي الوليد، فقام الرسول صلى الله عليه وسلم بعقد ميثاق وعهد ووثيقة مكتوبة تنظم العلاقات بين مختلف القوى والطوائف والتجمعات والأفراد داخل المجتمع، وكان من الطبيعي بفضل سماحة الإسلام وحرصه على حماية حقوق الأقليات الدينية والعرقية أن يسمح الرسول صلى الله عليه وسلم لليهود في المدينة بالدخول في هذا العقد، الذي يمثل أرقى ما عرفت البشرية من عقود لحماية حقوق الأقليات الأمر الذي يعكس قيم الإسلام العليا.

وعلينا أن ندرك أن مجتمع المدينة في ذلك الوقت كان يمثل كياناً سياسياً متميزاً، يمثل الرسول صلى الله عليه وسلم فيه القائد الأعلى، ويمثل المسلمون من المهاجرين والأنصار الأغلبية مع وجود أقليات من المشركين ومن اليهود كأفراد أو كجماعات. كانت الوثيقة تنص على وجود حقوق لليهود - مثل المسلمين، ولا شك أن تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم وسياساته تجاه اليهود تمثل العدل المطلق، وتعكس قيم الإسلام العليا، فقد حرص على التعايش بين المسلمين واليهود وغيرهم بدون ظلم لأحد. الحضارة الإسلامية إذن أرست فكرة التعايش، وهذه التجربة في التعايش تمثل نموذجاً فذاً للتعايش بين الأكثرية والأقلية في أي زمان ومكان، وكذلك في حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على كتابة نص يمثل الحقوق المتبادلة في وثيقة مكتوبة وهو أمر يمثل سابقة مهمة على مستوى السوابق الدستورية.

في كل العصور كان الناس يعتنقون دين الملك، وكان الاستثناء الوحيد هو الحضارة الإسلامية، فظلت هناك أقليات كثيرة، وهذا يثبت أن الاسلام دين التعايش والحوار.

وأود أن أضيف أن الحضارة الإسلامية قدمت المعرفة للعالم ونقلت المعرفة اليونانية وطورتها وقدمتها على طبق من ذهب لأوروبا التي بدأت من خلالها بناء عصر النهضة، وهذا الكلام يدحض بكل تأكيد دعوات هنتنجتون وغيره حول مفهوم صراع الحضارات، وفكرته بكل تأكيد ترتبط بأهداف معروفة، وأنها على صلة بسقوط الشيوعية وهو كرجل مخابرات يريد تدجين العالم، والغرب يريد الحوار من أجل تذويب الحضارات تحت مسميات العولمة، والتبشير بقيم عالمية تلغي أية خصوصية أخرى لأية حضارة.

نتائج إيجابية

مالذي حققه الحوار؟

عكاظ: ماذا حقق الحوار الى الآن في ظل استمرار الهجمة على الإسلام والمسلمين؟

د. جعفر عبد السلام: أنا أطرح سؤالا: ما البديل عن الحوار، البديل هو الصدام، وأنا يجب أن أكون على درجة عالية من الذكاء بحيث أتحاور حتى أرد على الغرب بطريقته. والحوار لا يستهدف الجوانب العقائدية بقدر ما يستهدف تحقيق المصالح وتلاقي الأفكار، أنا حين أتحاور مع الولايات المتحدة أو أوروبا حول مبادرات الإصلاح مثلا، فأنا أتحاور على ثلاث نقاط طرحتها المبادرة وهي المرأة والتعليم والإصلاح الاقتصادي. فالحوار هنا يحقق ثلاثة أهداف رئيسية هي تصحيح الصورة الذهنية المغلوطة، وتحقيق السلام والأمن كهدف من أهداف التنظيم الدولي في العصر الحديث، والدفاع عن المصالح العربية والإسلامية.

وإذا نظرنا إلى حقيقة الأمر، سنجد أن الدعوة للحوار من العالم الإسلامي أسفرت عن اهتمام عالمي، فالعالم المعاصر بعد تجاربه المتعددة من الصراعات الساخنة

الأديان والحضارات والثقافات

في دعوتها للحوار ونشر السلام العالمي

جانب من مؤتمر الحوار

والحروب بأنواعها الملتهبة والباردة قد أدرك أنه لا مناص من الحوار ولا مفر من التفاهم، وتوالت محاولات المجتمع الدولي بمنظماته المتعددة ترسخ مفهوم الحوار على المستويات التي تحقق الخير والنهوض والتقدم وظهر مصطلح الأسرة الدولية والمجتمع الدولي تأكيداً لقيمة الحوار وجدواه وأهميته في ترسيخ قيم الحق والعدل والخير للبشرية جمعاء.

وتم إعلان سنة الأمم المتحدة للتسامح من خلال قرارين للجمعية العمومية وهي سنة١٩٩٥م، ثم تقدم مدير عام اليونيسكو عام ١٩٩٤ بإعلان المبادئ الخاصة بالتسامح، مطالبا المجتمع الدولي بوضع نهاية لثقافة الحرب وبداية ثقافة السلام، حيث أدان التعصب العرقي والثقافي والديني. وفي عام١٩٩٩تم إعلان برلين، ومبادرة الحوار الثقافي بين المجتمعات الإسلامية والغربية، ونص إعلان برلين على تأسيس مركز بحوث لدراسات الإعلام المنظمة ذات الطابع الدولي المتعدد الجنسيات، والاهتمام بالتدريب الصحفي المهني، وأن يتم تأسيس أحد هذه المراكز في أوروبا والآخر في العالم الإسلامي، وتشجيع البرامج التليفزيونية والإذاعية التي تعمل على التقريب بين العالمين الإسلامي والغربي بطريقة خلاقة بحيث يتم تقديم العالم الإسلامي للغرب وبالعكس بشكل محايد غير منحاز.

وفي عام٢٠٠٠ صدرت الوثيقة العالمية للحوار بين الحضارات الصادرة عن الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة لتحدد أهداف الحوار في تعزيز التواصل والعدالة والتسامح بين البشر، والبحث عن أرضية مشتركة بين الحضارات لمواجهة التحديات المشتركة التي تهدد القيم والإنجازات البشرية.

المستشار عبد العاطي: الحوار حقق العديد من النتائج الإيجابية، وأرسى المؤتمر الإسلامي العالمي الذي عقد في مكة المكرمة يونيو الماضي، أرسى قواعد صحيحة للحوار والتفاهم بين الحضارات، وأظهر المملكة قبلة المسلمين في العالم كدولة تؤكد سياسة التعايش والسلام بين الأمم، وهي بذلك تصبح سباقة وتأخذ بتلابيب التطورات في العالم وتشارك في صياغة هذه التطورات من أجل أن يعيش العالم في سلام.

وجاء مؤتمر مدريد ليضع نقطة تحول في علاقة الحضارة الإسلامية بغيرها، والجديد في مدريد أن خادم الحرمين الشريفين حينما فتح أبواب الحوار مع الآخر ليضع نقطة تحول في تاريخ الحوارات، نستطيع ان نقول إن الفائز الأول في هذا اللقاء هو إسلام السماحة وقبول الآخر.

الحوار وخصوصية الآخر

د. محمد مورو: أنا مع الحوار الذي يحترم خصوصية الآخر، وأنا مقتنع تماما أن الحضارة الإسلامية تصلح كبديل عالمي، فالمسلمون لم يدعوا للصدام ولا روجوا له، وليس من مصلحتنا أبدا إثارة العداء، ولا توتر العلاقات مع الغرب، ولا مع الشرق، مصلحتنا في استفادة جيدة وجادة من عولمة زماننا، واستخدام قوتنا الأخلاقية والعقدية والروحية والمالية لصناعة عالم أفضل. وإرساء قيم الحوار وجعل الحوار آلية كبرى للتجديد والمعرفة بالآخر وبالواقع المعاش والمعرفة المجتمعة بالحياة.

فعقلنا وقلبنا مفتوح للحوار مع الجميع، لأن القرآن الكريم تناول كل صور الحوار مع الآخرين والسنة النبوية شاهد عملي ومتنوع للحوار مع الجميع، والاطلاع على تجاربهم، والقيام بالوظائف الإيجابية في المجتمع.

عكاظ: ما أهمية الدور الذي تقوم به المملكة في الحوار بين الحضارات والثقافات؟

د. جعفر عبد السلام: المملكة حين تفعل ذلك فإنها صاحبة خطوات راسخة وسوابق مهمة تؤسس للسلام والتعايش، فعندما استشعرت المملكة تداعيات أحداث سبتمبر ٢٠٠١، وعندما استشعرت أخطار دعوات صدام الحضارات عقدت في مكة المكرمة مؤتمرا بعنوان (الحوار الحضاري والثقافي أهدافه ومجالاته) عام ١٤٢٥هـ. وتركزت أعمال المؤتمر على جملة من التحديات التي شهدتها الساحتان الاسلامية والدولية وهي سيطرة العولمة بتياراتها الساعية لطمس الهويات والثقافات الوطنية للشعوب وتجاوز خصوصياتها، وظهور دعوات تؤكد على حتمية صدام الحضارات، والاعلام عن نظريات متطرفة تؤكد على ذلك، وتظهر الاسلام بصورة العدو الجديد، الذي حل محل الشيوعية، وحدوث اضطراب في العلاقات والموازين والقيم والمصالح الدولية والإنسانية، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في الولايات المتحدة الامريكية، وتصاعد الحملة الإعلامية في الغرب على الإسلام والمسلمين، وعلى المنظمات الإسلامية، ومؤسسات العمل الخيري الإسلامي، وفق سياسة تتصل بدوافع الكراهية والتمييز، وتفتقر الى الموضوعية. وعندما استشعرت المملكة أخطار الإرهاب المعولم وربط الإرهاب بالإسلام دعت للمؤتمر الدولي للإرهاب في الرياض في فبراير ٢٠٠٥، واقترح خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، في خطابه أمام المؤتمر إنشاء مركز دولي لمكافحة الإرهاب، وربط المراكز الوطنية المختصة بقاعدة بيانات يمكن تحديثها باستمرار.

المستشار عبد العاطي الشافعي: سعت المملكة دوما لإرساء سياسة التعايش بين الأمم، وجعل العالم الإسلامي فاعلا في الحركة الدولية وحذرت من الانغلاق والتعصب، وكلمات خادم الحرمين الشريفين في مؤتمرات الحوار تضع عددا من القواعد للأمة في حوارها مع الغرب، وأهم هذه القواعد: أن الإسلام يمتلك حلولاً ناجعة لتلك الأزمات، وأن الأمة المسلمة مدعوة للإسهام مع غيرها في مواجهة التحديات بما تملك من رصيد حضاري لا غنى للبشرية عنه، كما أن الحضارات الأخرى تمتلك رؤى تجاه هذه التحديات التي تعصف بالجنس البشري برمته، وتشترك مع المسلمين في مسعاها لتقديم الحلول الناجعة لأزماته وتجاوز التحديات التي تواجهه، بما تمتلك من التجربة الإنسانية، وأن الرسالات الإلهية والفلسفات الوضعية المعتبرة تمتلك من المشترك الإنساني ما يدعو إلى الالتزام بفضائل الأخلاق، ويرفض مظاهر الظلم والعدوان والانحلال الأخلاقي والتفكك الأسري والإضرار البالغ بالبيئة البشرية والإخلال بالتوازن المناخي.

شارك في الندوة :

الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام أمين عام رابطة الجامعات الإسلامية، وأستاذ القانون الدولي.

المستشار عبد العاطي الشافعي: رئيس محكمة الاستئناف وأمين عام جمعية الإخاء والتواصل المصري السعودي.

د. محمد مورو: المفكر الإسلامي ورئيس تحرير مجلة المختار الإسلامي الشهرية.

> الحضارة الإسلامية أرست فكرة التعايش.. والحوار يجب أن يقوم على الندية
>
> الإسلام يرفض الصدام ويدعو للحوار
>
> المملكة تدعم الحوار كبديل لدعوة صدام الحضارات ولتصحيح صورة المسلمين
>
> حوار الأديان يظهر سماحة الإسلام وإنسانيته